وقد عملت بريطانيا منذ بداية القرن العشرين على تنفيذ الاحلام اليهودية بوطن يهودي في فلسطين بشكل عملي وتعاوني بين الحركة الصهيونية العالمية وبين الدول الغربية على رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا ايضا . . وكان رئيس وزراء بريطانيا يأمل من اليهود التطوع في صفوف الجيش البريطاني لقتال الالمان والاتراك ان يساندوا القوات البريطانية والفرنسية والروسية في الحرب المخطط لها . . الا ان ظاهرة غامضة برزت للوجود اذ ان اليهود لم يكونوا راغبين في التطوع لمقاتلة الالمان حيث كان العدو المميت لهم هو قيصر روسيا . . وكان الجيش الالماني ينتظر ان يهزم القوات الروسية . . فقام اليهود الذين يتكلمون اللغة الالمانية والذين قادهم " ماكس كيثرمان " بالتوقيع على عريضة بدعم المانيا في حربها ما عدا العالم اليهودي " اينشتاين " وكان الوحيد من طبقة المثقفين اليهود الذي رفض التوقيع على تلك العريضة . . . وهكذا تواصلت الاسترضاءات والتهديدات احيانا لليهود للانضمام الى هذا المعسكر او ذاك . . غير ان اليهود بطبيعتهم الماكرة ظلوا ينتظرون ليروا كفة الميزان الى اين تميل ليميلوا معها .

ولما بدأت الحرب عام ١٩١٦ تمكنت القوات الالمانية من دحر الجيش الروسي في معركة " تانينبرغ " واندفع الالمان الى قلب بولندا الروسية واستقبلهم يهود بولندا باعتبارهم منقذين ومخلصين ، والذي تزعم حركة الاستقبال هذه كان " زئيف دون بيغن " والد " مناحيم بيغن " الذي كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي بعد قيام دولة اسرائيل ثم رئيسا للوزراء في اسرائيل وبقي كذلك الى ان جرى اغتياله على يد يهودي سفرادي متطرف . . كان والده زئيف يتحدث الى جانب الالمانية والعبرية عدة لغات منها "اليديش "التي كان يتداولها اليهود الاشكنازيون وكان زئيف يفضل التحدث بالالمانية برغم ان اليديش هي رطانة المانية قديمة وكان يسمي هذه اللغة " لغة معاداة السامية "

مناحيم بيغن

زئيف لعب دورا مهما في توجيه ابنه " مناحيم" وقال له يوما " انظر يا بني . . الالمان سوف يجيئون . . . انها ثقافة مختلفة فهي غير روسية . . . والجيش الروسي اثناء انسحابه ضرب نطاقا حول اليهود واقتادهم تحت السياط الى سيبيريا وذلك من ضمن النوايا الشريرة لسياسة " جوزيف ستالين " الخاصة بالاقليات . . . لقد شاهدنا الكوزاك وهم يحرقون القرى اليهودية ولكن عندما جاء الالمان عاملوا اليهود بشكل رائع . . .

كانت في فلسطين في ذلك الوقت عدة مستوطنات المانية واغلبها كانت مستوطنات زراعية . . كما ان الكثيرين من السمتوطنين اليهود في فلسطين كانوا يفضلون اللغة الالمانية على العبرانية وطالبوا بأن تكون الالمانية هي لغة

التدريس في المدارس اليهودية اما الحركة الصهيونية فقد قبلت بدون نقاش ان تكون لغة المؤتمر الصهيوني الالمانية وان تكون برلين المقر الدائم للحركة الصهيونية العالمية . . وكان اعضاء هذه الحركة يفضلون ان تكون المانيا هي الحامية لهم او ان يكون اليهود تحت الحماية الالمانية في فلسطين وكذلك العرب المسلمين في حالة تغلب الالمان على بريطانيا وفرنسا . . الكثير يعتقدون ان الجالية اليهودية الكبيرة في " سالونيكا " هي التي ساعدت تركيا لتدخل الحرب الى جانب المانيا في الحرب العالمية الاولى .

كان حاييم وايزمان المحرض الاول لبريطانيا على تقويض الامبراطورية العثمانية وكان وايزمان قد خلف تيودور هرتسل في زعامة الحركة الصهيونية واصبح اهم شخصية صهيونية مؤثرة في سياسة بريطانيا ودول العرب عموما . وقد كتبوايزمان بعد خطاب السير " اسكويت " " (علينا ان نبلغ العالم بوضع يهود فلسطين المأساوي) .

كان وايزمان الذي اصبح اول رئيس لدولة اسرائيل بعد اعلانها عام ١٩٤٨ من الشخصيات الهامة جدا في تاريخ اليهود المعاصر . . وكزعيم صهيوني كان ماهرا ونشطا مثل " هيرتسل " في التعامل مع الزعماء السياسيين في العالم اضافة الى انه كان يجيد مخاطبة يهود الشرق .

من حيث اصوله كان والده يعمل في قطع الاشجار في الغابات وينقلها عبر النهر الى بحر البلطيق ومن هناك يتم تصنيع الاخشاب من جذوع الاشجار . . حفظ قوانين "كارو" عن ظهر قلب وكان كتابه المفضل هو " مرشد الحيارى" لمؤلفه اليهودي القديم "موسى بن ميمون " هناك من يؤكدون ان وايزمان كان يعاني كثيرا من اجل اكتساب المعرفة عن طريق التعليم الحديث ، ولم تكن في بيته صحف وكان مدير مدرسته يهرب كتبا عبرية تبحث في علوم الطبيعة تحت غطاء التعليم الديني ودراسة سيير الانبياء السابقين .

كانت حكومة القيصر قد وفرت عشر مدارس يهودية ابتدائية في المدن التي كان ٥٠% من سكانها من اليهود وكان كل شيء قد ابتدع ليحول بين اليهود وبين الوصول الى الجامعات . . فقد كتب وايزمان في وقت لاحق . . كلما يقرأ الانسان سنة بعد سنة الامور المعقدة التي تدفقت من " بيترزبيرغ " يتكون عنده الانطباع بأن جميع الآليات المرهقة للامبراطورية الروسية الشاسعة قد صنعت خصيصا لغرض وحيد وهو اختراع تضخيم القواعد والانظمة التي تحيط بمعيشة الرعايا اليهود . . . لذلك فقد شمل التعليم مغالطات لا تنقطع من الخداع والاهانات . . اكتسب وايزمان صبرا ومواظبة الى ان وصل الى ادارة معهد برلين للفنون المتعددة وهو واحد من افضل المؤسسات التعليمية في اوروبا ولاحقا انتقل الى سويسرا وحصل هناك على درجة الدتوراة في الكيمياء من جامعة " وايبورغ "

عام ١٨٩٩ . . بعد حصوله الى الدكتوراه من سويسرا غادر الى بريطانيا واصبح هناك مدرسا للكيمياء في جامعة مانشستر ، ووجد نفسه في مهمة استغلال وجود الامبراطورية البريطانية المتعاطفة مع الطموحات الصهيونية ووجد خيرة طبقاتها الحاكمة وتعرف على الكثير من الشخصيات الهامة في الدولة ليحيي من خلال هذه المعارف والنفوذ قضية الوطن اليهودي . . وحصل وايزمان على الجنسية البريطانية عام ١٩١٠ . . . وفي انجلترا اقام علاقات مع " ارثر بلفور " زعيم المحافظين ومع " ونستون تشرتشل "كما قدمه " اسكويت " ايضا لاعز اصدقائه السياسيين " السير لويد جورج " . جميع هؤلاء كانوا من الداعمين للحركة الصهيونية . . والتقى وايزمان عضو البرلمان البريطاني "هربرت صموئيل " الذي كان عضوا في المؤسسة اليهودية . . كان صموئيل برغم معارضته للحركة الصهيونية قد استمر في ايمانه باليهودية وارتباطه بالمعبد ودفع مستحقاته وكان يفخر بأنه " يهودي " ولما اصبح وزير عام ١٩٠٩ كان اول يهودي يحصل على منصب وزير في بريطانيا .

كان صموئيل هادئا ، صامتا ومحافظا . . احتفظ بآرائه لنفسه حتى ان صديقة الحميم "حاييم وايزمان " لم يكن يعرف انه " صهيوني " وصموئيل برغم هذا كله ابتدع خطة ليستغل التدخل التركي مع الالمان وفي اليوم الذي القى فيه "اسكويت " خطابة اتصل صموئيل بالسير " ادوارد غريه " وزير الخارجية البريطاني واجرى معه محادثة خطيرة وحساسه . .سأل " غريه " ما رأيك في وطن لليهود في الشرق الادنى ؟ كانت الفكرة تقابل على الدوام بعاطفة قوية . . وكان " غريه " مستعدا لتحقيق ذلك ان جاءت مناسبة مواتية . . تناقش مع صموئيل في التفاصيل غير ان صموئيل حذر وزير الخارجية من ان منطقة الوطن اليهودي ينبغي ان لا تشمل بيروت ودمشق ، على اعتبار ان في المدينتين اغلبية عربية كبيرة ويخشى على اليهود هناك من التذوب في البيئة العربية . . واضاف " انها فكرة جيدة ان تكون سوريا من نصيب فرنسا وهذا افضل للسوريين ان يجاوروا قوة اوروبية افضل لهم من مجاورة الامبراطورية العثمانية . . . وكانت هذه الفكرة اساسا قد وردت في معاهدة سايكس – بيكو السرية في " فرساي " بين بريطانيا وفرنسا حول تقاسم المنطقة بعد احتلالها من العثمانيين ، فتكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا وفلسطين وشرق الاردن والعراق من نصيب بريطانيا . .

عمل صموئيل على مساعدة السير " لويد جورج " الذي كان وزيرا للمالية في بريطانيا واخبره بأنه مهتم جدا برؤية دولة يهودية تقوم هناك في فلسطين . . ومن هنا اطلق "حاييم وازمان " و " هربرت صموئيل " الحملة الرامية الى هزيمة تركيا تمهيدا لاقامة الوطن القومي اليهودي على ارض فلسطين . . واخذت آمال الحركة الصهيونية بزعامة

"وايزمان " تتطور وتتحول من المثاليات النظرية الى سياسات الواقع العملي وكان هناك امام الحركة طريق طويل عليها اجتيازه حسب التخطيط الصهيوني .

في شهر يناير عام ١٩١٥ كتب صموئيل رسالة الى عشيقته اليهودية " فانيتا ستانلي : قال فيها : " ربما نزرع في منطقة الشرق الادنى ما بين ثلاثة الى اربعة ملايين من اليهود ، وسوف يكون لهذا العمل تأثير جيد على اولئك الذين تركوا خلفا . . انا اعترف اني لست منجذبا الى اقتراح اضافة المزيد الى مسؤولياتنا لكن اصبح ذلك ضروري وهام . مرة ثانية بتاريخ ١٣ مارس عام ١٩١٥ اكد صموئيل عوطفة الجياشة بشأن اليهود المشتتين وقال ان بامكانهم ان يتجمعوا من كل زوايا الارض ليحصلوا في الوقت المناسب على وطن يهودي او على حكم ذاتي على الاقل .

على كل حال سارت الامور بثبات لصالح الحركة الصهيونية ، غير ان رئيس وزراء بريطانيا كان قد فوجيء بخلافات حادة بين الزملاء اليهود ويقول انه اذهل من الوضع وما اذهله اكثر هو ما ادلى به وزير الدفاع اللورد " كيتشنر " بقوله :" فلسطين لن تكون باي شكل ذات فائدة لنا " لكن " لويد جورج " وزير المالية تمكن من الجمع بين وزير الدفاع وزعيم الحركة الصهيونية " حاييم وايزمان " بشكل رسمي . . غر ان كيتشنر كان في مهمة طويلة في روسيا تولى خلالها " لويد جورج " مهام وزير الدفاع وكان هذا مؤشر حسن لبدء تحويل المصادر الى شرق البحر المتوسط مما جعل فلسطين اكثر احتمالا . . ووجد وايزمان سهولة في رؤية الاعضاء الكبار في الحكومة . . وقال في مكتب وزارة الخارجية في ١٩١٦/٨/١٨ " بصدق كبير انه حتى في هذه البلاد يترتب على اليهودي دائما ان يعطي تفصيلا عن وجوده وفيما اذا كان انجليزيا او يهوديا . . . وان ذلك الشيء كانت النتيجة اكثر خطورة من بلاد اخرى . . . انا لست رومانسيا فيما عدا ان اليهود يجب ان يكونوا دائما رومانسيين حيث انه بالنسبة لهم تكون الحقيقة دائما رهيبة جدا " من بعد " اسكويت " تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا " لويد جورج " الذي كان يشغل منصب وزير المالية في حكومة " اسكويت " . . . لويد جورج عين فور استلامه رئاسة الوزراء " بلفور " وزيرا للخارجية . . وكان هذا امر قاطع وكان " اسكويت " مخطئا فيما يتعلق بلويد جورج ، اذ استنكر روتشيلد في الماضي ولكنه كان مأخوذا باللورد روتشيلد الاول ، الذي استدعاه مع عدد من الممولين الى وزارة المالية مع بداية الحرب العالمية الاولى وخاطبه " لورد روتشيلد ! لقد كان لدينا بعض الاوضاع غير المريحة سياسيا " اجابه روتشيلد : هذا ليس وقت استعادة تلك الاشياء . . بماذا استطيع المساعدة ؟

ويزمان وجد ان لويد جورج كان متعاطفا مع مبدأ الوطن اليهودي . . رئيس الوزاء الجديد كان عاطفيا ، فعندما دفع بخطته كانه دائما يشير الى فلسطين باعتبارها بلاد بحجم مقاطعة " ويلز " وكان لويد جورج متدينا وهذه نقطة اخرى جيدة لصالح الصهاينة . . عندما كان وايزمان يتحدث عن فلسطين ، دأب جورج على ذكر اسماء الاماكن المألوفة له توراتيا في فلسطين . . كان بلفور حليفا مهما لأن خلف الطرق المختلفة تتأصل ارادة فولاذية لازمته للتغلب على تردد الزملاء الرسميين في وزارة الخارجية . . وحال اقتناع بلفور بقضية يكون رجلا صعبا في الانحراف وكان رجل وايزمان المتحول المهم . . . كان الرجلان يتحدثان اولا بشكل مطول خلال انتخابات عام ١٩٠٦ عندما وبخ وايزمان لرفضه اوغندا كوطن قومي لليهود بديلا عن فلسطين . . قال يومها بلفور " كان يجب ان اقدم لك لندن او باريس بدلا من اوغندا . . . هل ستحب ذلك ؟ لكن يا كدتور وايزمان لندن لنا وهذه حقيقة لكن لدينا ايضا القدس عندما تدخلها القوات البريطانية " دار بينهما نقاش حاسم في ١٢ ديسمبر عام ١٩١٤ يستحق اعادة التذكير به لأنه يصور مهارات وايزمان كأنسان مقنع في اسلوبه . . فبعد ان وضع وايزمان قضية الصهاينة في مجال العمل ، اخبره بلفور بأن المسألة اليهودية سوف تظل بدون حل الى ان تصبح طائفة في فلسطين او يصبح اليهود متذوبين في البيئة التي يعيشون فيها . . واضاف بقصد الاغاظة – انه تناقش في هذا الامر مع سيئة السمعة من تعادي السامية وهي " كوسيما واجنر " عام ١٩٤٢ ووافقت . . نعم اجاب وايزمان : دعني اخبرك بالضبط ماذا قالت ! ان اليهود يأخذون ثقافتنا وعلومنا وصناعاتنا وهي النقطة الاساسية التي بغفلها اليهود والتي تشكل صلب جوهر المأساة اليهودية " . . ان اولئك اليهود الذين يعطون طاقاتهم وادمغتهم للالمان يفعلونها بوصفهم المان وانهم يثرون المانيا وليس اليهودية التي يهجرونها . . عليهم ان ينكروا يهوديتهم لكي يضعوا ادمغتهم وقدراتهم تحت تصرف الالمان . . فهم الى حد ليس قليل مسؤولون عن عظمة الالمان وهكذا نحن نقف هناك كأناس مستغلين وغير مفهومين " قام بلفور بمصافحة وايزمان وعينه تذرف الدموع وقال : ان الاسلوب الذي يتبعه بمعاناة امة عظيمة قد انار طريقه . . لهذا اصبح بلفور حليفا صهيونيا شديدا في وزارة الخارجية البريطانية متحركا باتجاه التزام بريطاني معين نحو اليهود . ففي يناير عام ١٩١٧ بدأت القوات البريطانية بغزو فلسطين من الجنوب عبر برية سيناء حيث كان البريطانيون قد سيطروا على مصر . . وفي نفس الشهر انهارت حكومة القيصر ، مزيلة بذلك اكبر عقبة في دعم اليهود عالميا . الوزير الانتقالي "كيرنسكي " انهى معاداة السامية في روسيا . . وفي نهاية الشهر بدأت المانيا معارك غير مقيدة بالزوارق جعلت التدخل الامريكي الى جانب الحلفاء امر حتميا

. . . واصبحت الحكومة الامريكية اقوى الداعمين لمبدأ الوطن القومي لليهود في فلسطين . . كانت هناك بعض العقبات . . فالفرنسيون يبغضون افكار اليهود وهكذا كان البريطانيون البروتستانت بدلا من الكاثوليك (والكفرة) الفرنسيون في القدس وحسب مارك سايكس الذي كان يناقش سرا معاهدة الحماية ومعارضه " جورج بيكو " تحدث عن مذابح باريس في ذكرى قصة الكابتن " درايفوس " التي كانت ما تزال حيّة في عقول الحركة الصهيونية ولكي اوضح للقاريء ما هي تلك القصة في باريس اوجزها فيما يلي :

ثيودور هرتسل وحاييم وايزمن
الحركة الصهونية العالمية

" تيودور هرتسل " الصحفي المجري الاصل انتقل مع والديه الى النمسا وكان قد تخرج من جامعة فينا في الصحافة . . كان والده يهوديا ثريا وكان ثيودور مدللا غير مبالي . . همه الاول كان السكر والعربدة وملاحقة النساء الجميلات وممارسة المجون بكش اشكاله لاشباع رغباته التي ما وقفت عند حدود . . بعد تخرجه من جامعة فينا بالصحافة عرضت عليه احدى المجلات النمساوية العمل معها بوظيفة مراسل لها في باريس . . فقبل العرض على الفور حيث وجد فيه فرصة للابتعاد عن عيون والديه ورقابتهم لممارساته المجون في بلد السحر والجمال باريس . . . اقام في باريس واعجبته الحياة هناك كثيرا . . .مما زاده انغماسا في ملذاته ومجونه . . وحدث ان مرّ يوما امام المحكمة فسمع اصواتا عالية تأتي من داخل قاعة المحكمة الباريسية وكانت الاصوات تطالب باعدام المتهم الماثل امام القضاء . . فدخل الى المحكمة لعله يجد خبرا او قصة للمجلة التي يعمل لحسابها . عندما دخل الى القاعة في المحكمة ذهل لما رأى المتهم قائدا يهوديا في سلاح البحرية الفرنسية برتبه اميرال وهو " الكابتن درايفوس " الذي اقتيد الى المحكمة بتهمة الخيانة العظمى وذلك بافشاء اسرار البحرية الفرنسية للبريطانيين الامر الذي ادى الى هزيمة الاسطول الفرنسي في معركة " ووترلوو " الشهيرة .

واخذ يتردد على المحكمة كل يوم لمتابعة قضية " درايفوس " وكان يسمع هتافات الجمهور الفرنسي في المحكمة منددة باليهود والمطالبة بتوقيع عقوبة الاعدام بحق الخائن " درايفوس " . . وظل كذلك الى حكمت المحكمة على درايفوس بالاعدام . . . عاد الى بيته وهو يفكر بأنه لو كان لهذا الرجل دولة او كيان يحميه لما استطاع الفرنسيون محاكمته بهذه الصورة المهينة . . وفكر بأنه يجب ان يكون لليهود دولة لئلا يستمر اضطهادهم بهذه الصورة البشعة